صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم
في الشعر الأندلسي

د. محمد المعلمي

ملخص البحث

تنهض هذه الدراسة على المحاور الآتية:

☒ إضاءة: تتضمن الإشارة إلى كون اهتمام شعراء الأندلس بالصحابة الكرام، هو من صميم تشبثهم بالإسلام، وتعلقهم بأسسه ومقوماته ورموزه؛ الأمر الذي تبدّى في الباقات الشعرية التي تضوعت بأريج: القرآن الكريم، وقصصه، وصوره...، ومدائح الرسول ﷺ، ومدح آل بيته الأطهار، والمناسبات والأعياد الدينية (رمضان، ليلة القدر، الإسراء والمعراج، عيد الفطر، عيد الأضحى، الهجرة النبوية...)، والتبرك بالبقاع الطاهرة والتشوق إلى زيارتها، من خلال شعيرة الحج، والاحتفاء بأماكن ذات مغزى إسلامي: مكة ـ طيبة ـ أُحد ـ رضوى ـ وادي العقيق ـ صبا نجد....

☒ إطلالة على صحابة الرسول ﷺ في الشعر الأندلسي، وكان المعتمد في هذا الصدد، عينات شعرية همت فئات الصحابة الكرام الآتية: الخلفاء الراشدون، والصحابة المبشرون بالجنة، والصحابة المجاهدون، والصحابة الشهداء، والصحابة الشعراء.

☒ سياق ورود أسماء الصحابة ودلالاته، وتم التطرق فيه للسياقات الآتية:

سياق المدائح النبوية والمولديات،وسياق الشوق إلى البقاع المقدسة (الحج)، وسياق مدح بعض الحكام والأمراء المنتسبين إلى الصحابي الممدوح.

☒ صيغ ورود أسماء الصحابة، حيث تم تتبع مختلف الصيغ التي حفلت بها نصوص الشعر المعتمدة.

☒ كيفية توظيف أسماء الصحابة، حيث تم الوقوف على تنوع توظيف أسماء الصحابة، تبعا لمقصد الحالة الشعرية.

☒ موقع ذكر الصحابة في النصوص الشعرية، وتم فيه الكشف عن الموقع الذي ذكر فيه الصحابي داخل كل نص، وإبراز دلالته.

☒ منطلقات النظر إلى الصحابة، فنظرا لتأثر كل حالة شعرية بالظرفية الزمانية والمكانية، تم رصد مختلف المنطلقات التي صدر عنها الشعراء.

☒ سمات فنية: تميز الشعر الأندلسي المحتفي بالصحابة بسمات فنية عديدة، تجلت في معجمه اللغوي، وأساليبه البلاغية، وصوره الفنية، وقد رصدت الدراسة بعضا منها، على سبيل المثال لا الحصر.

☒ خاتمة: خلصت فيها الدراسة إلى ثلاثة أمور:

< **أولها**: إن توظيف الشعر الأندلسي لأسماء الصحابة، كان باعتبارهم المثال الإسلامي في القول والفعل.

< **ثانيها**: إن الاحتفاء بأسماء الصحابة، حمل في طياته تخليدا لمواقفهم وبطولاتهم التي هي من كنوز تاريخ الإسلام وحضارته.

< **ثالثها**: إن استلهام أسماء الصحابة ومواقفهم في مضمار الشعر، يبقى دعوة دائمة لكل الشعراء المسلمين للمتح من معين التاريخ الإسلامي المليء بنماذج بطولية سامية، عوض الانبهار بنماذج من خارج نطاق الهوية الدينية والحضارية والتاريخية..

الباحث في سطور

الدكتور محمد المعلمي d.lamaalmi@gmail.com

- من مواليد سنة 1954م بشمال المغرب.
- دكتوراه الدولة في الأدب العربي من كلية الآداب بجامعة عبد المالك السعدي تطوان2006م.
- عضو في أسرة تحرير صحيفة (القبس الشمالي).
- نشر مقالات فكرية وأدبية، ودراسات تربوية في مجلات ودوريات وصحف مغربية وعربية.

صدرت له من الكتب:

- محمد بن عبد الكريم الخطابي في رحاب الشعر.
- المرشد إلى ما في القرآن الكريم من ثنائيات مثلى في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.
- طه حسين في المغرب، صفحة في سفر التواصل المصري المغربي.

وله تحت الطبع كتاب «مدينة سبتة في الشعر المغربي قديما وحديثا».

إضــاءة

يمثل اهتمـام الشعر الأندلسي بصحابة الرسول ﷺ جانبا مـن تـشبع ذويـه بالثقافـة العربية الإسلامية، وتعلقهم بأسـسها، ومقومــاتها، ورموزهـا. آيـة ذلـك أن المـصادر الأدبية الأندلسية حافلة بنـصوص شـعرية متـضوعة باقتباسـات وتـضمينات قرآنيـة، وزاخرة بصور وقصص مستمدة من الكتاب العزيز الـذي كـان مـصدرا خـصبا ألهـم الشعراء لفظا وتصويرا، فاستمدوا منه عناصر تكوين وجدانهم؛ واقتطفوا من شـجرته الطيبة موضوعات وصورا أدبية؛ الأمر الذي تجلى في العديد من قصائدهم التي احتفوا فيها بمناسبات وأعياد دينية كليلة القدر، والإسراء والمعراج، وشهر رمـضان، وعيـدي الفطر والأضحى.

هذا، فضلا عن الهجرة النبوية، وغزوات الرسول وفتوحاته، التـي وجـدها الـشعراء مناسبة لإبراز عمق تعلقهم بنبيهم وحبهم له. فقد كـان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الإسـوة الحـسنة والرجـاء المنـشود، لهجـت القـرائح بمدحـه، ورددت سـيرته العطـرة تعبـدا وتـشفعا وتبركا...

وهناك مطولات أوقفها أصحابها على مدح خير الورى وأهل بيته الأطهار، وإعـلان الشوق العارم لزيارة البقاع الطاهرة لأداء فريـضة الحـج والتـبرك بزيـارة مثـوى سـيد الأنام؛ هذا علاوة على مطولات أخرى جادت بها القرائح لما شـاع الاحتفـال بالمولـد النبوي. وهي كلها نابضة بمـشاعر فياضـة تعكـس عميـق إيمـــان مبـدعيها بـدينهم، وحبهم للرسول وآله وصحبه.

۞ إطلالة على صحابة الرسول في الشعر الأندلسي

نظرا لما حفل به الشعر الأندلسي من قصائد ومقطعات وأراجيز ومخمسات في صحابة الرسول ﷺ، ونظرا لتعدد طبقاتهم، فإن التناول المنهجي لهذه النصوص اقتضى، بحكم متطلبات المقام، انتقاء عينة دالة منها بغية تخصيص حيز مناسب لكل طبقة، دون أن يعني ذلك الإحاطة الشاملة بهذا الموضوع الدقيق الذي يستحق دراسات أشمل وأدق، ونفسا أعمق. ولعل هذه الندوة المباركة تقدح زند البحث في هذا المجال الحيوي لدى الباحثين الشباب ليعكفوا على استخراج النصوص من مختلف المصادر وتصنيفها ودراستها دراسات مستفيضة، تميط النقاب عما ثوى في ثناياها من قيم إيمانية سامية، ما أحوج مجتمعاتنا الإسلامية إليها اليوم، وهي تخوض غمار التنمية البشرية التي لا أفق لها بدون إنسان ذي شخصية مؤسسة على قيم الإيمان والتقوى، ومعتزة بانتمائها الحضاري.

وعليه؛ فإنه من خلال تأمل الباقات الشعرية التي ازدانت بذكر الصحابة الكرام، يتضح أنه بالإمكان تقسيمهم حسب قربهم من الرسول الكريم، رغم تعذر ذلك أحيانا، إلى خمس طبقات هي:

1) **طبقة الخلفاء الراشدين:**

نال الخلفاء الراشدون اهتماما ملحوظا في الشعر الأندلسي باعتبارهم صفوة صحابة الرسول ﷺ. وقد انصرف هذا الاهتمام أحيانا، نحو خليفة بعينه، وانصرف أحيانا أخرى، صوب الخلفاء الأربعة جميعا في آن واحد.

ومن الشعر الذي سلك أصحابه الخلفاء الراشدين في عقد واحد، نذكر أرجوزة أبي **طالب عبد الجبار** التي أثبتها ابن بسام في ذخيرته على طولها، ويهمنا فيها المقطع المتعلق

بما نحن بصدده، حيث بدأ بالخليفة **أبي بكر الصديق** صاحب الرسول في الغار، وقاطع دابر الردة بقوله:

ثـــمت خـــص الخلفـــاء الأربعـــه فأكمـــل الله بهـــم مـــا صنعـــه
فاســـتخلف الـــصديق ثـــاني اثنـــين ذاك أبـــو بكـــر بغـــير مـــين
جـــرد في جهـــاد أهـــل الـــرده ولـــم يكـــن يـــرضى بغـــير الـــشده
ثـــم توفـــاه الإله راضيـــا وكان في ذات الإله مـــاضيـــا[1]

ثم انتقل إلى **عمر الفاروق**، وما كان على يديه من فتوح حتى نال الشهادة، تاركا أمر خلافته شورى بين صحابة الرسول الستة بقوله:

ثـــم تـــولى عمـــر الفـــاروق فالتأمـــت مـــن بعـــده الفتـــوق
واســـتعمل البعـــوث والأجنـــادا وألـــف الحـــروب والجهـــادا
حـــتى أتتـــه محنـــة الـــشهـــادة فهيـــأ الله له الـــسعـــاده
فـــصير الـــشورى إلى أصـــحابه ســتتهم وهـــو يـــشكو مـــا بـــه[2]

وأردفه بذي النورين **عثمان**، وما كان من ورعه وتقواه، إلى حين محاصرته واغتياله بقوله:

فـــآثروا عثمـــان بالخلافـــه وكان لـــلإله ذا مخافـــه
فمهـــد الأمـــة ذو النـــورين حـــتى ســـقاه الله كـــأس الحـــين
إذ حـــصروه في حـــريم الدار مستـــسلما مـــن غـــير مـــا أنـــصار

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (2 / 929).
(2) نفسه (2 / 929).

طـــوبى له مـــن أشـــمط قتيـــل يقـــوم طـــول الليـــل بالتنزيـــل
بؤســـا لقـــوم قتلـــوا عثمـــانا إذ نقمـــوا استخلاصـــه مروانـــا[1]

وأتبعه بأبي السبطين علي الموسوم بالعلم والشجاعة والزهد، مشيرا إلى مـا رافق توليه الخلافة من أحداث وتقلبات واضطرابات، إلى أن امتدت إليـه يـد ابـن ملجـم الآثمـة لتغتاله في أطهر بقعة، وأقدس لحظة. كل ذلك نلفيه في هذه الأبيات:

ثـــم تولاهـــا أبـــو الـــسبطين ذاك أبـــو الحـــسن والحـــسين
علي ذو العلـــــوم والـــــشجاعه والزهـــد في الدنيـــا وذو البراعـــه
فـــسار طلحـــة مـــع الـــزبير إلى العـــراق في أحـــث سيـــر
وخرجـــت عائـــشة للـــصلح فانـــصرفت والحـــرب ذات كلـــح
فـــشبت الحـــروب يـــوم الجمـــل حـــتى أصـــيب طلحـــة في المقتـــل
وقتـــل الـــزبير قبـــل الملحمـــه منـــصرفا عنهـــا حليـــف مندمـــه
وثـــارت الحـــروب بـــالخوارج أصـــلاهم بالنـــار ذو المعـــارج
ثـــم مـــضى علي إلى معاويـــه فاضـــطرب الأمـــر بعمـــرو الداهيـــه
فـــاجتمعوا للحـــرب في صـــفينا فـــأيتموا البنـــات والبنيـــنا
ودام في حروبـــــــــــــه علي حـــتى دهـــــاه حـــادث وبي
حـــين أصـــابته يـــدا ابـــن ملجـــم فخـــضب المفـــرق منـــه بالـــدم
تبـــا له مـــن خـــارجي فاســـق خـــالف في التنزيـــل أمـــر الخالـــق
فاغتـــاله وهـــو ينـــادي ســـحرا: قومـــوا إلى الـــصلاة يـــدعو منـــذرا[2]

---

(1) الذخيرة (2 / 929).
(2) نفسه (2 / 930).

ولابن جابر قصيدة مطولة في فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت، أفاض في الأبيات الخاصة **بأبي بكر الصديق** في سرد خصاله وسجاياه المتمثلة في صدقه، وجوده، وإيثاره، ووفائه، بقوله:

فمنهم أبو بكر خليفته الذي ... له الفضل والتقديم في كل مشهد
وصديق هادي الخلق والمؤثر الذي ... لإنفاقه للمال في الله قد هدي
وصهر رسول الله، وابنته التي ... يبرئها نص الكتاب الممجد
وصاحبه في الغار إذ قال لا تخف ... فثالثنا ذو العرش أوثق منجد
وسد على المختار مخرج حية ... هناك برجل منه فازت بأسعد
وفيه وفي خير الأنام تسامعوا ... بمكة صوت الهاتف المتقصد
جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
وعتق بلال حسبه، فهو سيد ... تأثل في الإسلام، إعتاق سيد
وقال رسول الله إن أمنكم ... علي أبو بكر وأوفى بموعد
فصدق إذ كذبتم، وأطاع إذ ... عصيتم، ووافاني موافاة مسعد
ولو أنني من أمتي كنت آخذا ... خليلا تولى خلتي وتوددي
لكان أبو بكر، ولكن أخوة ... في الإسلام مهما تنقص الناس تزدد
فلما أراد الله قبض نبيه ... وصار إلى دار النعيم المخلد
تقدم في نيل الخلافة بعده ... بإجماعهم لا بالحسام المهند
وقد فارقت يوم السقيفة فرقة ... فلما رأته الحق لم تتردد
وقام علي بعد ذاك مبايعا ... فأثنى ثناء المخلص المتودد
وأظهر عذرا في تأنيه صادقا ... وبايع طوعا لا لفقدان مسند

فآب بحمد منهم غير قاصر ومن يتبع الإنصاف والحق يحمد
وما أشبه الصديق في الفضل مشبه ولا أحصيت أوصافه بتعدد(1)

وفي الأبيات التي خص بها **عمر بن الخطاب**، نجده يركز على التزام عمر نهج الحق الذي لم تكن تأخذه فيه لومة لائم مهما كانت الظروف والحيثيات، حتى سمي بالفاروق؛ وما كان لدخوله في دين الله من عزة للإسلام والمسلمين ودحر للشرك والمشركين، وإلى ذلك أشار بقوله:

هو المرء لم يترك له الحق صاحبا ولا قعد الشيطان منه بمقعد
ولا سلك الشيطان فجا قد اغتدى له سالكا من خوفه المتزيد
ومن ظله قد كان ينفر هيبة له حيثما أضحى يروح ويغتدي
وقد جاء عنهم: ما برحنا أعزة بإسلامه فانكف من كان يعتدي
ومن قولهم: إسلامه كان غرة وهجرته فتحا شجا كل ملحد
وإمرته كانت على الناس رحمة فآبوا إلى فتح وعز ممهد
ومن فضله رعي النبي بغيرة له فانثنى عن قصره المتشيد
وقد قيل للفاروق: هذا، ومن به فأنبأه عن ذا النعيم المؤبد
فأقبل يبكي قائلا كيف غيرتي عليك، ولولا أنت ما كنت أهتدي
ورؤيا رسول الله للقدح الذي تناول من در به غاية الصدي
وناوله الفاروق من بعد ما ارتووا إلى أن غدا من ظفره الري يبتدي
فأوله العلم الذي منه ناله وأول رؤيا الدلو حسن التأيد
فصارت له غربا فأروى بها الورى فكان افتتاح الأرض فتح ممهد

---

(1) نفح الطيب للمقري (7 / 359 ـ 360).

ورؤيـــاه أيـــضا في قمـــيص يجـــره وللناس قمص بعـضها يبلـغ الثـدي

فـــأول خـــير الخلـــق طـــول قميـــصه بـمـا حـاز في إيمـانه مـن تأيـــد

وتفريقـــه مـــا بـــين حـــق وباطـــل بيـوم سـقى الكفـار أفظـع مـورد

وســـمي بالفـــاروق مـــن أجـــل هـــذه ومـا زال في نـص الهـدى ذا تجلـد

وحـــسبك أن الله وافـــق رأيـــه لدى يوم بـدر إذ رأى قتـل مـن فـدي

كـــذا في أذان والحجـــاب وجعلهـــم مـصلى مقامـا للخليـل بـمـسجـد

شـــديد على أهـــل الهـــوى رحمـــة لمـــن عـن الحـق لـم يجـنح ولـم يتحيـد

وممـــا رووا إن كان في أمـــة فـــتى يحـدث فالفـاروق مـن ذاك فاعـدد

ومـــا أبغـــض الفـــاروق إلا مفـــارق لدين الهدى ذو مذهب لـم يـسدد[1]

وخص **عثمان بن عفان** بأبيات نوه فيها بصبره وحلمه وحيائه وتقواه، وجمعه القرآن الكريم، وتجهيزه جيش العسرة، وشرائه بئر رومة استجابة لنداء حبيبه المصطفى، ونيله وسام ذي النورين، وارتقائه نحو مولاه شهيدا، فقال:

وحـــسبي عثمـــان بـــن عفـــان أنـــه عليه اعتمـادي وهو سؤلي ومقصدي

إمـــام صـــبور لـــلأذى وهـــو قـــادر حلـيم عـن الجـاني جميـل التعـود

هـــو الجـــامع القـــرآن والقانـــت الذي إذا جـن ليـل لـيس يـأوي لمرقـد

ويقطـــع بالـــصوم النهـــار وينثـــني مـدى ليلـه في خـشية وتهجـد

وقـــال رســـول الله في بـــئر رومـــة أما مشتر يـبغي بهـا الأجـر في غـد

له الجنـــة العليـــا بـــذلك فاشـــترى وتجهيز جيش العـسرة اذكـر وعـدد

فقـــال رســـول الله إذ جـــاءه بـمـــا قد احتاج من مـال وظهـر وأعبـد

(1) نفح الطيب (7 / 360 ـ 362).

هنيئـا لعثمـان بـن عفـان فعلـه ... ومـا ضره مـا بعد مـع هـذه اليـد
وقـول ألا أبـدي حيـاء لمـن له ... قد استحيت الأمـلاك أشرف محتـد
وبلـغ بـشرى الهاشـمي بأنـه ... مـن الجنـة العليـا بـأكرم مقعـد
ولكـن على بلـوى، وقـال سأرتـضي ... وأصـبر صـبر الطـائع المتجلـد
فـأظهر يـوم الدار صـبر أولي النـهى ... ولـو شـاء لـم تظفـر بـه يـد معتـد
ولـم يـرض، صـونا للدمـاء، بحـربهم ... وكان مـتى يـستنجد القـوم ينجـد
فمـات شـهيدا صـابرا فهـو خـير مـن ... على نفـسه في غـير حـق قـد اعتـدي
على بنـتي المختـار أرخى سـتوره ... فناهيـك مـن مجـد وعـز مجـدد
ولـم يـدع ذا النـورين إلا لأنـه ... حـوى بيتـه نـورين مـن نـور أحمـد
وإن لعثمـان بـن عفـان رتبـة ... من المجد تسمو عن سمـاك وفرقـد[1]

ونفح عليا كرم الله وجهه بأبيات ضـمنها حظوتـه لـدى سـيد الخلـق، فهـو صـاحبه السامي وصهره المجتبى وابن عمه وأبو الحسنين. هذا فضلا عن تحليه بخصال قلمـا تجتمع في رجل واحد؛ فهو أول صبي سابق إلى الإسلام، وهو سيف الرسول والفارس المقدام، وباب مدينة علم سيد الأنام. كان صوامـا، قوامـا، منيبـا لربـه، كثـير التعبـد، معرضا عن المـال، قنوعا من الدنيا التي طلقها ثلاثا.

وهو مـا نجده يشع من ثنايا هذه الأبيات عبر ترديـد مفـردات ذات مغـزى بعيـد في الثقافة الإسلامية كالعلم، والزهد، والتقوى، والحـق. ولا ريـب، فإنهـا أعمـق مغـزى عندمـا تكون رديفة للإمـام علي رضي الله عنه :

(1) نفح الطيب (7 / 362 ـ 363).

وإن عليـــا كان ســـيف رســـوله   وصـــاحبه الـسامي لمجـد مـشيـــد
وصــهر النـبي المجتـبى وابـن عمـه   أبـو الحـسنين المحتـوي كل ســؤدد
وزوجــه رب الـسمـا مـن سمـائه   وناهيك تزويجا مـن العـرش قـد بـدي
بخـير نـساء الجنـة الغـر سـؤددا   وحـسبك هـذا سـؤددا لمـسـود
فباتـا وحـلي الزهـد خـير حلاهمـا   وقـد آثـرا بـالزاد مـن جـاء يجتـدي
فـآثرت الجنـات مـن حلـل ومـن   حـلي لهـا رعيـا لذاك التزهـد
ومـا ضر من قد بـات والـصوف لبسه   وفي السندس الغالي غدا سوف يغتدي
وقـال رسـول الله إني مدينـة   من العلم وهو البـاب، والبـاب فاقـصد
ومـن كنـت مـولاه علي وليـه   ومولاك فاصدق حـب مـولاك ترشـد
وإنـك مـني خاليـا مـن نبـوة   كهرون مـن مـوسى وحـسبك فاحمـد
وقـال غـدا أعـط اللـواء محببـا   إلي وللـرحمن بالنـصر مرتـدي
فبـاتوا وكل يـشتهي أن ينالهـا   إلى أن بـدا وجـه الـصباح المجـود
فنـادى عليـا ثـم أبـرأ عينـه   بنفث كـأن لـم يمـس قبـل بأرمـد
فأعطـاه إياهـا وقـال له ادعهـم   ومهمـا أبـوا فانهـد إليهـم تؤيـد
فجـدل مـنهم مـن جـنى عندمـا دعا   إلى الحـرب دعـوى الفاتـك المتمـرد
وقاتـل طـول اليـوم والبـاب ترسـه   يجـر بـه للقـوم في كل مرصـد
فـأعجزهن البـاب مـن بعـد عـشرة   فمـا الظـن في هـذا القـوي المؤيـد
وكان مـن الـصبيان أول سـابق   إلى الديـن لـم يـسبق بطـائع مرشـد
وجـاء رسـول الله مرتـضيا له   وكان عـن الزهـراء بالمتـشـرد
فمـسح عنـه الـترب إذ مـس جـلده   وقـد قـام منـه آلفـا للتفـرد

وقال له قول التلطف ((قم أبا ... تراب)) كلام المخلص المتودد
وفي ابنيه قال المصطفى ذان سيدا ... شبابكم في دار عز وسؤدد
وأرسله عنه الرسول مبلغا ... وخص بهذا الأمر تخصيص مفرد
وقال هل التبليغ عني ينبغي ... لمن ليس من بيتي فبالقوم فاقتد
وقد قال عبد الله للسائل الذي ... أتى سائلا عنهم سؤال منددد
وأما علي فالتفت أين بيته ... وبيت رسول الله فاعرفه واشهد
بأمرين من حر وبرد فلم يجد ... أذى بردها أو حرها المتوقد
وما زال صواما منيبا لربه ... على الحق قواما كثير التعبد
قنوعا من الدنيا بما نال، معرضا ... عن المال، مهما جاءه المال يزهد
لقد طلق الدنيا ثلاثا، وكلما ... رآها وقد جاءت يقول لها ابعدي
وأقربهم للحق فيها وكلهم ... أولو الحق لكن كان أقرب مهتد[1]

2) **طبقة الصحابة المبشرين بالجنة:**

يسترعي الانتباه في النصوص التي وصلت إليها يد البحث، إيلاء أصحابها عناية ملحوظة للصحابة المبشرين بالجنة كالذي نجده مثلا في مخمسة **أبي عبد الله محمد بن حبيش** اللخمي المرسي لقصيدة (معراج المناقب) لابن أبي الخصال التي أتى فيها على ذكر المبشرين بالجنة.

ونظرا لطولها، نكتفي بإيراد المقطع التالي؛ وهو شاهد على الصورة المثلى التي رسمها الشاعر لهؤلاء الصحابة الغر الميامين الذين حازوا الحسنيين في العاجلة والآجلة:

(1) نفح الطيب (7 / 363 ـ 364).

هم عشرة حـازوا الكمـال ضريبـة وحلـوا بفـردوس قـصورا رحيبـة
وواحـدهم مـا زال يلـقى كتيبـة وكل لفهـر أو قـصي صـليبة
يـقـارع مـنـهم كـل نـبـع بـأصـلـب[1]

ومن الشعراء الذين اهتموا بهؤلاء الصحابة أيضا، **ابن جابر** الذي أحسن لما سلكهم في عقد نضيد يليق بالمال الذي أكرمهم به رب العرش المجيد الفعال لما يريد، فقال:

أزكى صـلاتي على الهـادي وعترتـه وصـحبه، وخـصوصا مـنهم عـشره
صـديقهم عمـر الفـاروق أحـزمهم عثمـان ثـم علي مهلـك الكفـره
سـعد سـعيد عبيـد طلحـة وأبـو عبيـدة وابـن عـوف عاشر العـشره[2]

3) طبقة الصحابة المجاهدين:

أولى شعراء الأندلس عناية خاصة للصحابة الذين جاهدوا في الله حق جهاده فأعز الله بهم الإسلام في مختلف المواقع والغزوات، وأكتفي، في هذا المقام، بالإشارة إلى صحابة كانوا مثالا في التضحية والجهاد، هم: أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري الذي شهد مع رسول الله بدرا، وأحدا، والخندق، وسعد بن أبي وقاص الذي دعا له رسول الله بدعوته المأثورة «اللهم سدد رميته، وأجب دعوته»، وخالد بن الوليد الذي كان سيفا من سيوف الله، سله سبحانه على الكفار والمنافقين.

فهذا **ابن عبدون** في رائيته الشهيرة في رثاء بني الأفطس يشير، في معرض ذكر من خسفت بهم الأيام رغم جبروتهم، إلى هزم قائد جند المسلمين سعد بن أبي وقاص لرستم قائد الفرس في موقعة القادسية بقوله:

---

(1) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري (5 / 225).
(2) نفح الطيب (7 / 326).

ولم ترد مواضي رستم وقنا ⁂ ذي حاجب عنه سعدا في ابنة الغير[1].

وهذا **أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني** يستحضر وقيعة خالد بن الوليد في مرتدي اليمامة في ثنايا مدحه للمعتضد بإشبيلة فخاطبه قائلا:

ونصر لمن واليت يردي عدوه ⁂ ردى أهل جو في وقيعة خالد[2]

وهذا **أبو عبد الله ابن حبيش** يسطر في مخمسته بأحرف من نور بطولات أبي طلحة في مقارعة صناديد الكفر في شتى المواقع جنب رسول الله، فقال:

بصحب الهدى أبدى الزمان اختياله ⁂ غداة غدوا إجماله وجماله

فلو أومؤوا للأفق نالوا هلاله ⁂ ولو نيط فخر بالثريا لناله

أبو طلحة عفوا ولم يتصعب

بسراء أو ضراء أنفق ماله ⁂ وفي السر والإعلان واصل آله

وصيحته في الجيش هدت جباله ⁂ ولما تناءى البر عن أن يناله

بغير سخاء عن نضيد مركب[3]

4) **طبقة الصحابة الشهداء:**

ورد ذكر عدد من هؤلاء الصحابة الذين جادوا، رضوان الله عليهم، بأرواحهم في سبيل دين الله. منهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، ومصعب بن عمير.

---

(1) قلائد العقيان لابن خاقان(ص103).

(2) الذخيرة (3 / 87).

(3) أزهار الرياض(5 / 239).

فقد أتى **ابن عبدون** على ذكرهم في سياق الاعتبار بتقلبات الأيام بقوله:

ومزقت جعفرا بالبيض واختلست من غيله حمزة الظلام للجزر...
وأنزلت مصعبا من رأس شاهقة كانت بها مهجة المختار في وزر[1]

وتبوأ الصحابة الشهداء خبيب بن عدي[2] وعاصم بن ثابت وحرام بن ملحان الأنصاري في مخمسة **ابن حبيش** مقاما عليا في قوله:

تحلى خبيب للتقى خير زينة وماذا تلقى عاصم من سكينة
غداة حمته الدبر أي أمينة وفاز حرام يوم بئر معونة
بقطر دم يستن من كل مشخب[3]

كما نال كل من شهيد بدر حارثة بن سراقة، وشهيد أحد حنظلة الغسيل، ثناء جميلا في مخمسة ابن حبيش لما شع ذكرهما في قوله:

وحنظلة بشراه في فوز سهمه لقد طهرت بالسفح طاهر جسمه
ملائكة نعم الأساة لكلمه وحارثة قال الرسول لأمه
ببدر وقد قالت لعبرتها اسكب[4]

---

(1) قلائد العقيان(ص102، 104).

(2) هذا الصحابي الجليل هو القائل يوم قدم للصلب:

لعمرك ما آسى إذا مت مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

وقد رثاه شاعر الرسول حسان بن ثابت رثاء مؤثرا فقال:

يا عين جودي بدمع منك منسكب وابكي خبيبا مع الغادين لم يؤب
صقرا توسط في الأنصار منصبه حلو السجية محضا غير مؤتشب

ديوان حسان بن ثابت(ص225).

(3) أزهار الرياض(5/ 244).

(4) نفسه(5/ 231).

وخص **ابن جابر** في مطولته سيد الشهداء وليث الله (حمزة) بأبيات جمع فيها ما أثر عن هذا الصحابي الأثير لدى رسول الله ﷺ، من خصال الشهامة والبطولة التي ارتقت بروحه الطاهرة إلى سدرة الشهادة يوم أحد، فقال:

ومن مثل ليث الله حمزة في الندى ... مبيد العدا مأوى الغريب المطرد
فكم حز أعناق العداة بسيفه ... وذب عن المختار كل مشدد...
وفي أحد نال الشهادة بعدما ... أذاق سباعا للردى شر مورد
ففاز وأضحى سيد الشهداء في ... ملائكة الرحمن يسعى ويغتدي
وصلى رسول الله سبعين مرة ... عليه إلى ثنتين عند التعدد..[1]

5) **طبقة الصحابة الشعراء:**

وفي طليعتهم نجد حسان بن ثابت وكعب بن زهير اللذين تردد ذكرهما كثيرا في الشعر الأندلسي، من ذلك مثلا ما ورد في قصيدة **لابن مرج الكحل** ردد فيها سبقه البلاغي، في معرض رده على الشاعر صفوان بن إدريس، متوهما التفوق على حسان لو كان من الجيل الأول بقوله:

نطقت فأفحمت العراق بلاغة ... وأخرست ما تحوي السراة خراسان
ولو سمعت سمعا عكاظ بلاغتي ... لما جرر الأذيال في الدهر سحبان
ولو كنت في جيل الأوائل لم يكن ... ليذكر بالإحسان في الشعر حسان[2]

(1) نفح الطيب (7/ 365ـ 366).
(2) أعلام مالقة (ص216).

وقرن **ابن حبيش** في أحد مقاطع مخمسته لقصيدة (معراج المناقب) بين حسان وكعب، مشيرا إلى حظوتهما لدى رسول الله ﷺ بقوله:

وكعب علا كعبا على رغم شامت ومنطقه للحرب أنعت ناعت
وتيب عليه توب أروع قانت وحسان حسان الحسام بن ثابت
يقول وروح القدس للقول مجنب[1]

وهذا **ابن فركون** يستحضر مباركة الرسول ﷺ شعر حسان في الذود عن الإسلام، فقال في ثنايا إحدى مدائحه ليوسف الثالث:

لا تسل عن سواه إذ سوف تلفي جبل الفتح تابعا شمانه
قد علمتم والشعر أصدق فالا ما دعا المصطفى له حسانه
دون مولاي من نظامي خودا فذة الحسن والحلى فتانه
راق منها بالمدح فيك بيان أفق الطرس مطلع شهبانه[2]

وهذا **ابن جابر**، في معرض مدحته النبوية، يرجو أن ينال الحظوة التي نالها كعب بن زهير لما خلع عليه الرسول ﷺ حلته، غب إنشاده في مسجده، بحضرة أصحابه لاميته الشهيرة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول

(1) أزهار الرياض (5 / 242).
(2) ديوان ابن فركون(ص179).

فقال:

إني لأرجـو بـنظـمي في مـدائـحه ❊❊❊ رجاء كعب ومن يمدحه لم يضم[1]

وهذا **ابن الخطيب** عند مدحه للسلطان أبي سالم المريني لما فتح تلمسان، يستلهم عناية الرسول ﷺ بالشعر فيختم مدحته بتضمينها ذكر كعب وحسان، شاعري الرسول بقوله:

فـدونكها مـن بحـر فكـري لؤلـؤا ❊ يفـصل مـن حـسن النظـام بـمرجان
وكان رسـول الله بالـشعر يعتـني ❊ وكـم حجـة في شـعر كعـب وحـسان
ووالله مـا وفيـت قـدرك حقـه ❊ ولكنـه وسـعي ومبلـغ إمكـاني[2]

ولابن الخطيب أيضا في قصيدة أخرى إشارة إلى إنصات الرسول الكريم لشعر كعب وحسان، وثنائه عليهما، فقال عند مخاطبته السلطان أبا الحجاج:

أمـولاي إن الـشعر ديـوان حكمـة ❊ يفيـد الغـنى والعـز والجـاه مـن كانـا
وقـد وجـد المختـار في الحفـل منـصتا ❊ له وحبـا كعبـا عليـه وحـسانـا[3]

❊ صيغ ورود أسماء الصحابة:

عمد الشعراء، في هذا الصدد، إلى صيغتين:

---

(1) الحلة السيرا في مدح خير الورى لابن جابر (ص77).
(2) نفح الطيب (5 / 37).
(3) نفسه (6/ 497).

1- **صيغة مباشرة**: كالذي رأيناه في النماذج الشعرية السابقة،حيث يورد الشاعر اسم الصحابي الذي عرف به، مقرونا بأبرز الصفات والشيم التي اتصف بها في حياته الخاصة والعامة.

2- **صيغة كنائية**: حيث عمد كثير من الشعراء إلى الإشارة إلى الصحابي بكنيته أو بصفة غالبة عليه دون سواها. من ذلك مثلا أن كثيرا من الشعراء قرن ذكر أبي بكر بصفة (الصديق) كقول **أبي عبد الله محمد الشران الغرناطي**:

ما أصدق الصديق في قوله ☙ عدل لنا في حجج الصدق قال[1]

وعمر بن الخطاب بصفة (الفاروق)، وكنية (أبي حفص) كقول **أبي الحجاج يوسف ابن موسى الجذامي المنتشاقري**:

ولذي الفخار وذي العلى ووزيره ☙ صديقه وأخي الهدى فاروقه
مني السلام عليهم كالزهر في ☙ تأليفها والزهر في تأليفه[2]

وقرنوا عثمان بن عفان بكنية (ذي النورين) كقول **ابن دراج القسطلي** في إحدى مدائحه:

وما ساقت الشورى وأوجبه التقى ☙ وأورث ذو النورين عمك عثمان[3]

والأمر ذاته بالنسبة لعلي بن أبي طالب الذي حلوا ذكره تارة بـ(أبي الحسنين، وأبي السبطين، وذي السبطين، وأبي تراب) وتارة أخرى بسيفه (ذي الفقار) كقول **محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي المريي**:

---

(1) أزهار الرياض(1/ 141).
(2) الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (4 / 384).
(3) الذخيرة (1 / 70).

وعلى أبي السبطين من سبق الألى سبقوا إلى الإسلام يوم سباق
الطاهر الطهر ابن عم المصطفى شرف على التخصيص والإطلاق(1)

ورددوا كنية (أبي اليقظان) التي عنوا بها الصحابي الجليل عمار بن ياسر، كقول **ابن عبدون** في رائيته الشهيرة:

وما رعت لأبي اليقظان صحبته ولم تزوده إلا الضيح في الغمر(2)

❁ سياق ورود أسماء الصحابة:

وردت أسماء الصحابة في سياق ما يلي:

1- مدح الرسول الكريم:

حيث عمد الشعراء إلى الإعلاء من قدر الصحابة في أعطاف مدح الرسولﷺ، من ذلك مثلا قول **ابن السيد البطليوسي**:

فدونك يا رسول الله مني تحية مؤمن وهدى محب
سأجعل عروتي الوثقى يقيني لصحة ما أتيت به وحبي
عسى ود ثوى لك في فؤادي على بعد سيوجب منك قربي
شهدت بأن دينك خير دين بلا شك وصحبك خير صحب(3)

---

(1) نفح الطيب (6/ 229).
(2) قلائد العقيان (ص103).
(3) أزهار الرياض (3 / 149).

والأمر ذاته عند **ابن جابر** في ميميته في مدح خير الورى، حيث ختمها بالتماس شفاعة الرسول ﷺ بقوله:

فاشفع لعبدك وادفع ضر ذي أمل ❊ يرجو رضاك عسى ينجو من الألم[1]

ثم طفق يعدد بانشراح ما يكنه من حب صادق لصحابة الرسول (الصديق - الفاروق - ذو النورين - أبو حسن - حمزة - العباس) الذين عدهم ركنه وملتزمه بقوله:

حسبي صلات صلاة سحبها شملت ... آلا وصحبا هم ركني وملتزمي
بصدق حبي في الصديق فزت ولا ... أفارق الحب للفاروق ليثهم
وقد أنار بذي النورين صدري هل ... نخاف نارا وإنا أهل حبهم
بغيثهم يوم إحسان أبي حسن ... غوثي وسبطيه سمطي جيد مجدهم
أطفي بحمزة والعباس جمرة ذي ... بأس وأطوي زماني في ضمانهم[2]

وبلغ انشراحه ذروته لما تمثل في الصحابة الكرام النجاة من كل بلوى، ووجد في ذكرهم ماله وآماله، وهو ما بثه في هذه الأبيات عندما قال:

صحب الرسول هم سولي وجودهم ... أرجو وأنجو من البلوى ببالهم
أحب من حبهم من أجل من صحبوا ... أجل وأبغض من يعزى لبغضهم
هم مالي وآمالي أميل لهم ... ولا يمل لساني من حديثهم
لكن وإن طال مدحي لا أفي أبدا ... فأجعل العذر والإقرار مختتمي[3]

---

(1) الحلة السيرا في مدح خير الورى (ص152).
(2) نفسه (ص153 ـ 154).
(3) نفسه (ص154 ـ 155).

وعمد ابن جبير إلى ختم إحدى مدائحه النبوية باعتبار النيل من صحابة الرسول ﷺ كفرا، فقد جاهدوا رضوان الله عليهم في الله حق جهاده، ونصروا الدين الـذي ارتـضاه لخلقه، فقال:

ومـا أنـا للـصحب الكـرام بـمبغض فـإني أرى البغـضاء في حقهـم كفـرا
هـم جاهـدوا في الله حـق جهـاده وهم نصروا دين الهدى بـالظبى نـصرا
علـيهم سـلام الله مـا دام ذكـرهم لدى الملإ الأعلى وأكـرم بـه ذكـرا[1]

وهذا الموقف المتضوع ثناء على صحابة الرسول الكريم هـو ذاتـه الـذي عـبر عنـه ابـن حبيش في مـخمسته، إذ قال في مقطع منها:

أيـا صـاح دعـني مـن ثـراء وعيلـة ومل بي إلى صحب الهدى خير ميلة
أحـبر ثنـاهم كل يـوم وليلـة وعـرج على الأنـصار أبنـاء قيلـة
وبغضهم كفر فعذ وتحبب[2]

وجدد تعلقه بالصحب الكرام وثناءه عليهم باعتبارهم نجوم هداية، فقال:

صـحاب رسـول الله في الأرض أنجـم ليرشـد حـيران وينجـاب مظلـم
بهم في الدنـا نحـمى وفي الديـن نعـصم سـأقطع عمـري بالـصلاة علـيهم
وأدأب في حبي لهم كل مدأب[3]

---

(1) نفح الطيب (2 / 493).
(2) أزهار الرياض(5 / 248).
(3) نفسه (5 / 249).

2-مقرونة بالممدوح:

حيث قرن الشعراء بين ممدوحيهم وأسماء الصحابة مثال ذلك أن **أبا بكر محمد بن عيسى الداني** المعروف **بابن اللبانة** مدح ابن عباد فقرنه في عدله بالخليفة عمر بن الخطاب بقوله:

ومن رمته من الأيام حادثة   فليس غير ابن عباد لها وزر
ملك غدا الرزق مبعوثا على يده   وظل يجري على أحكامه القدر
مقدم السبق يحكي في بسالته   عمرا ولكنه في عدله عمر[1]

ونظيره مدح **أبي بكر محمد بن رحيم** للأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين بكونه سار في تقواه على نهج العمرين، وتحلى بمضاء علي بقوله:

ليوسف مفخر يروى ويتلى   كما يتلى الحديث عن النبي
ركبت مناهج التقوى ففاقت   أمورك كل أمر معتلي
وسرت بسيرة العمرين عدلا   ولم تقعد مضاء عن علي[2]

ومثيل ما سبق، مدح **أبي محمد بن صارة الشنتريني** لذي الوزارتين قاضي قضاة الشرق إبراهيم بن عصام، المكنى بأبي أمية، وقرنه في تقواه بالصحابي الجليل أبي هريرة بقوله:

قاض تقابلنا حبي أبراده   بأبي هريرة في التقى ومعاذه

(1) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (2 / 117).

(2) قلائد العقيان(ص295 ـ 296).

ومدحه أيضا في قصيدة أخرى مشبها إياه بالصحابيين الجليلين أبي بكر وعمر بقوله:

في حبوتيـــه إذا اســـتقبلته ملـــــك ... مقـــدس الـــروح إلا أنـــه بـــشر
أضـفى على الديـن أبـراد الـشباب فقـل ... صـــديقه الـــبر أو فاروقـــه عمـــر[1]

وفي ذات الموضوع مدح **أبو عبد الله محمد** بن **أحمد بـن الحـداد** أمـيره ابـن صمــادح فشبهه في محاربة مناوئيه بالإمـام علي في صراعه مع غلاة الخوارج بقوله:

وكـــم قـــد رأت رأي الخـــوارج فرقـــة ... فكنـــت عليـــا في حـــروب شراتهـــا
بعـــــزم أبي لا يــــــرد مــــضــــاؤه ... وهل تملك الأفلاك عـن حركاتهـا[2]

وعلى نفس المنوال مدح **أبو الحسن ابن الجد** أمير المسلمين وناصر الـدين أبـا يعقـوب يوسف بن تاشفين مشبها إياه في حدبه وسهره على رعاياه بعمر بن الخطاب بقوله:

فقل لمن نام أصـبحت، انتبـه، فلقـــد ... مضى لك الليل بحتا وانقضى السحر
وانظر إلى الصبح سيفا في يـدي ملـك ... في الله من جنده التأييـد والظفـــر
يــرعى الرعايـا بطـرف سـاهر يقـــظ ... كمـا رعاها بطرف سـاهر عمـــر[3]

وعلى ذات النهج سار **ابن سهل الأندلسي**، وهو يكيل المدح لولي نعمته الوزير أبي علي ابن خلاص الذي ذكرته سجاياه بعمر بن الخطاب ﷺ بقوله:

بصير بطـرق البـأس والجـود لـم تـزل ... وقائعـــه جهـــرا ومعروفـــه ســـــرا
له ســـير أذكرننـــا عمـــرا إلـــــى ... مواقـف في الهيجـاء أنـسيننا عمـرا[4]

---

(1) قلائد العقيان (ص645).
(2) ديوان ابن الحداد (ص166ـ 167).
(3) الذخيرة (3/ 257).
(4) ديوان ابن سهل الأندلسي(ص122).

ولابن فركون قصائد عديدة في مدح الملك يوسف الثالث، حرص فيها على ذكر الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري الذي ينتمي إلى ذريته بنو نصر ملوك غرناطة. من ذلك قوله في قصيدته التي رفعها إلى يوسف الثالث غداة بيعته:

لك المجد في الأملاك يروى حديثه ... وقيس بن سعد في القديم تأثله

فآباؤك الأنصار جاءت بذكرهم ... لنا سور في محكم الذكر منزله

هم أوضحوا نهج الهداية للورى ... وهم نصروا دين الإله ومرسله[1]

ولابن زمرك قصيدة في مدح محمد الخامس سلطان غرناطة، استحضر فيها اتصال محتده بالصحابي سعد بن عبادة وآله من الأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ. ولم تفته الإشارة، خلال ذلك، إلى كون ممدوحه وارث مجد أجداده ومحيي سنتهم العطرة. وهو ما نجده ماثلا في قوله:

يا ابن الألى قد أحرزوا خصل العلا ... وسموا بطيب أرومة ونجار

وتنوب عن صوب الغمام أكفهم ... وتنوب أوجههم عن الأقمار

من آل سعد رافعي علم الهدى ... والمصطفين لنصرة المختار

أصبحت وارث مجدهم وفخارهم ... ومشرف الأعصار والأمصار

وجه كما حسر الصباح نقابه ... ويد تمد أناملا ببحار

جردت دون الدين عزمة أروع ... جددت منها سنة الأنصار[2]

---

(1) ديوان ابن فركون (ص104).

(2) ديوان ابن زمرك (ص414 ـ 415).

2- **مقرونة بالمرثي**: وهناك من الشعراء من قرن اسم المرثي باسم الصحابي كالذي فعله مثلا **ابن حمديس** في رثاء أبيه حيث استحضر نداء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسارية الجبل بقوله:

سمعت مقالة شيخي النصيح ... وأرضي عن أرضه نائيه
كأن بأذني لها صرخة ... أراد بها عمر ساريه
مضى سالكا سبل آبائه ... وأجداده الغرر الماضيه
كرام تولوا بريب المنون ... وأبقوا مفاخرهم باقيه[1]

ومنه أيضا ما جاء في رثاء **أبي الحسن علي بن الجياب** لأبي الوليد إسماعيل بن نصر إذ شبه نهايته بما جرى للصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه بقوله:

مجاهد نال من فضل الشهادة ما ... يجبى عليه بأجر غير ممنون
قضى كعثمان في الشهر الحرام ضحى ... وفاة مستشهد في الدار مطعون
في عارضيه غبار الغزو تمسحه ... في جنة الخلد أيدي حورها العين[2]

❁ موقع ذكر الصحابة في النصوص الشعرية:

لم يسر الشعراء على خط واحد، وهم يذكرون أسماء الصحابة في شعرهم، ويرجع ذلك إلى طبيعة التوظيف وما ترتب عليها من دلالة؛ بيد أن الأمر لا يخرج عن المواقع الآتية:

---

(1) ديوان ابن حمديس (ص523 ـ 524).
(2) الإحاطة في أخبار غرناطة(1/ 394).

1. في مستهل كل مقطع داخل القصيدة الواحدة: وفي ذلك دلالة على مكانة الصحابي وكأنه نجم. من ذلك ما قام به أبو طالب عبد الجبار الذي رأينا كيف كان يعمد كل مرة إلى ذكر الصحابي ويسترسل في ذكر سجاياه، وتتويجها بثناء الرسول الكريم حسب كل حالة.

2. في وسط القصيدة: وأحيانا يرد الصحابي في ثنايا القصيدة من ذلك ما وقفنا على نماذج منه في بعض المدائح والمراثي.

3. في ختام القصيدة: حيث عمد بعض الشعراء إلى جعل مسك ختام قصائدهم ذكر الصحابة بعبارة مجملة، وهم يصلون على النبي ﷺ، وعلى آله وصحبه كالذي نجده لدى **ابن خاتمة** في ختام إحدى قصائده حيث قال:

ثم الصلاة على المبعوث مرحمة ... إلى الخليقة من جن ومن إنس
وآله والصحاب الغر قاطبة ... ما افتر ثغر صباح عن لمى غلس[1]

❁ منطلقات النظر إلى الصحابة:

إن ما وقفنا عليه من نماذج شعرية، يبيح لنا القول بأن الشعراء وهم يذكرون الصحابة الكرام، استطاعوا بنسب متفاوتة تجاوز إثارة صورة الصحابي المشكلة من خصاله ومواقفه، إلى استخدام دلالاتها ومشاهدها في الموقف الذي كان فيه كل شاعر، مكانا وزمانا؛ إذ ربط القيم السامية المشتركة بين ممدوحه ومرثيه من جهة، وبين الصحابة من جهة أخرى، وبذلك عكس لنا شعره عالمه المرئي الذي كان في صلب تَمَوُّجَاته مع عالمه الذهني الذي تصوره من سير الصحابة الكرام.

---

(1) ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي (ص18).

وقد لا نكون مغالين بعد إمعان النظر في صور الشعر المتصلة بالصحابة، إذا اعتبرنا أن طبيعة تلك الصور بحمولتها الدينية، غمرت بأنوارها ثقافة الشاعر وإحساساته وأفكاره، لتشكل حجر الأساس في رؤيته للحياة ولمحيطه، وخاصة إبان المراحل الحرجة في التاريخ الأندلسي.

وعليه؛ فإن منطلقات النظر إلى الصحابة لدى الشعراء الذين ذكرناهم، انبثقت من طبيعة المرحلة التاريخية التي عاصروها وعاشوا أحداثها. وهي إجمالا انحصرت في زاويتي النظر الآتيتين:

- زاوية النظر في مراحل القوة: حيث كان الاستمداد من الموروث الإسلامي دليل صحة ثقافية ونفسية، وتحقيقا للهوية الأندلسية المسلمة.
- زاوية النظر في مراحل الاضطراب والتدهور، حيث كان اللوذ بالأصول واستلهام الموروث، تحصينا للذات وتقوية لها في مواجهة ما كان يحيق بالمجتمع الأندلسي من أخطار داهمة، تهدد هويته ووجوده الإسلاميين.

❀ سمات فنية :

تجلت هذه السمات في كيفية توظيف أسماء الصحابة لدى كل شاعر، ويمكن حصرها في الآتي:

- استخدام اسم الصحابي نظيرا لشخصيات الشعر حينا، وحينا آخر كان استخدامه معادلا موضوعيا للقيم والصفات التي طبعت شخصية الصحابي المعني كالصدق والعدل والصبر والتقوى والجود والشجاعة.
- تحويل أسماء الصحابة إلى رموز، فقد تبين من خلال النصوص التي سبق ذكرها، أن أصحابها عمدوا إلى ذكر الصحابة وكناهم وألقابهم، وقد نحوا ذلك المنحى

بغية اختصار الطريق وتحويل الأسماء إلى رموز لموضوعاتهم، تبث إشعاعها في فضاء حضاري عام؛ ولا ريب فإن مجرد استحضارها من لدن المتلقي، كان يثير فيه طاقات إيحائية ونفحات وجدانية.

- الاستمداد اللغوي والأسلوبي من المعين القرآني، وقد رأينا كيف أن تعابير الشعراء الفنية تلونت، في أكثر من موقع، بألوان لغوية هي سليلة البلاغة القرآنية القائمة على البيان والتبيين والتبيان.
- اتخاذ كثير من الشعراء أعلام الصحابة مادة تصويرية لتشبيهاتهم، وصورهم التقابلية، والكنائية، وفقا لطبيعة التجربة الشعرية ودرجة شاعريتها.

خاتمة

هذه نفحات من شعر أندلسي فيه ذكر طيب لأعلام من صحابة الرسول ﷺ، وهي بما انطوت عليه من مثل سامية وقيم رفيعة، تشهد لهذا الشعر بما يلي:

1- ارتباطه الوثيق بأصول ثقافته الإسلامية في شتى الأغراض ومختلف الحالات.

2- توظيفه لأسماء الصحابة باعتبارهم جيل التأسيس، والمثال الإسلامي المقتدى في القول والفعل.

3- تمثله بطولات الصحابة هو تخليد لها باعتبارها معالم خالدة في تاريخ الإسلام وحضارته.

4- استلهامه مواقف الصحابة، يمثل دعوة دائمة ومتجددة لكل الشعراء المسلمين للمتح من معين التاريخ الإسلامي الزاخر بأعلام بطولية رائدة، عوض الانبهار بنماذج من خارج نطاق الهوية.

وصفوة القول، فإن ارتباط الشعر الأندلسي بجذوره الأصيلة، وتوظيفه لأسماء الصحابة بصيغ متنوعة، وتمثله لبطولاتهم، واستلهامه مواقفهم، هي معالم للعلاقة التي يمكن للشاعر المسلم دوما أن يوثق عراها مع تراثه وتاريخه، في كنف لقاء حميم بين القديم والحديث.

فهرس المصادر والمراجع

- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة. ط1393/2هـ- 1973م.
- الحلة السيرا في مدح خير الورى لابن جابر الأندلسي، تحقيق: علي أبو زيد، عالم الكتب ـ بيروت. ط2/ 1405هـ 1985م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: د.إحسان عباس. دار الثقافة ـ بيروت 1399هـ/1979م.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق: د. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب. مطبعة فضالة ـ المحمدية 1400هـ/1980م.
- أعلام مالقة، تأليف: أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس. تقديم وتخريج وتعليق د. عبد الله المرابط الترغي. دار الأمان للنشر والتوزيع ـ الرباط. ط1420/1هـ 1999م.
- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني الكاتب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، محمد المرزوقي. الدار التونسية للنشر. ط1986/3.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: د. سيد حنفي حسنين، الناشر: دار المعارف، القاهرة 1983م.
- ديوان ابن الحداد الأندلسي، جمعه وحققه وشرحه وقدم له د. يوسف علي طويل. الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط1410/1هـ1990م.
- ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له د. إحسان عباس. الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر (بدون تاريخ).

- ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي (أحمد بن علي)، حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية. الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. 1392هـ/1972م.
- ديوان ابن زمرك الأندلسي(محمد بن يوسف الصريح) حققه وقدم له ووضع فهارسه د. محمد توفيق النيفر. الناشر: دار الغرب الإسلامي. ط1/1997م.
- ديوان ابن سهل الأندلسي، تقديم: د. إحسان عباس. الناشر: دار صادر ـ بيروت 1400هـ/1980م.
- ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق د. محمد ابن شريفة. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ـ سلسلة «التراث». ط1/1407هـ- 1987م.
- قلائد العقيان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي (الملقب بابن خاقان)، صححه وحققه وعلق عليه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. الدار التونسية للنشر سنة 1990م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د.إحسان عباس. الناشر: دار الفكر 1408هـ/1988م.